آل عريعر وبني خالد: طرد العثمانيين من الأحساء ودحض ادعاء الولاية العثمانية

تُعدّ دولة بني خالد (آل حميد - آل عريعر) من أبرز الدول المحلية التي قامت في شرق الجزيرة العربية، وقد لعبت دورًا محوريًا في مواجهة النفوذ العثماني في المنطقة. يدحض التاريخ الموثق الادعاءات التي تربط آل عريعر بـ«الولاية العثمانية»، ويؤكد أنهم هم من أخرجوا العثمانيين من الأحساء، وأسسوا دولتهم المستقلة. بل إن لقب «عريعر» أصبح علمًا على زعماء آل حميد حتى على مؤسس الدولة براك بن غرير آل حميد (الذي حكم بين ١٠٧٧-١٠٨٢هـ)، مع أن عريعر نفسه من أحفاده.

يعتمد هذا المقال على نصوص المؤرخين النجديين والأحسائيين الذين وثقوا الأحداث بدقة، ويستعرض السياق التاريخي لدخول العثمانيين، علاقتهم ببني خالد، وعملية طردهم، ثم نهاية الدولة الأولى وإعادة قيامها.

دخول العثمانيين إلى الأحساء وسقوط الدولة الجبرية

دخل العثمانيون الأحساء بعد سقوط الدولة الجبرية. كان ذلك نتيجة خلاف داخلي بين بعض الجبريين، حيث استعان بعضهم بحاكم البصرة ابن مغامس، فاستغل الفرصة ودخل المنطقة. لم يكن بنو خالد يومئذ ضعفاء؛ بل كانوا يتمتعون بقوة ونفوذ واسع في شرق الجزيرة، مما دفع العثمانيين إلى التعامل معهم بحذر.

طبيعة العلاقة بين بني خالد والعثمانيين: شد وجذب لا تبعية

كان العثمانيون على علم بقوة بني خالد، فاتبعوا سياسة تقارب تارة بالهدايا والعطايا، وتارة بالاستنفار والحيطة. لم تكن العلاقة علاقة والٍ ومولى، بل علاقة بين قوتين سياسيتين تتأرجح بين التحالف المؤقت والتوتر حسب المصالح. هذا الواقع يؤكده المؤرخون الذين سجلوا أن بني خالد ظلوا أصحاب السلطة الحقيقية في المنطقة.

طرد العثمانيين من الأحساء على يد بني خالد

كيف استولى براك بن غرير آل حميد على السلطة في الأحساء؟

براك بن غرير بن عثمان آل حميد (من بني خالد) هو مؤسس الإمارة الخالدية الأولى (دولة آل حميد أو آل عريعر لاحقًا). استولى على الحكم في الأحساء وأسس دولته المستقلة بعد طرد الحامية العثمانية، وذلك في حوالي سنة 1080هـ / 1669-1670م (بعض المصادر تذكر بداية الثورة 1077هـ، والاستيلاء التام 1080-1081هـ).

السياق التاريخي

كانت الأحساء (واحة تشمل الهفوف والمبرز والقطيف) تحت الحكم العثماني منذ منتصف القرن العاشر الهجري (حوالي 954هـ / 1547م)، بعد سقوط الدولة الجبرية. لم يكن السيطرة العثمانية كاملة دائمًا؛ إذ كان نفوذ بني خالد قويًا في البوادي والأرياف المحيطة، بينما كان العثمانيون يسيطرون بشكل أساسي على القلاع والمدن الرئيسية.

في تلك الفترة، كانت الدولة العثمانية تعاني من ضعف داخلي وانشغال بحروب متعددة (مع الصفويين في العراق، والاضطرابات في البصرة، ومشاكل داخلية في عهد السلطان محمد الرابع). هذا الضعف أدى إلى فقدان الاتصال الفعال بولاية الأحساء، مما خلق فراغًا استغله بنو خالد.

كيفية الاستيلاء على السلطة

استغل براك بن غرير هذه الظروف الملائمة، وقاد ثورة أو حملة عسكرية ناجحة ضد الوالي العثماني (الذي كان يُذكر أحيانًا باسم محمد باشا أو غيره). الروايات التاريخية تختلف قليلاً في التفاصيل:

- الرواية الأكثر شيوعًا: ثار آل حميد (فرع من بني خالد) على الولاة العثمانيين، وتمكنوا بقيادة براك من هزيمة الحاميات التركية وطردهم من الهفوف (المدينة الرئيسية في الواحة). استولوا على الأحساء والقطيف وبواديهما، وامتد نفوذهم إلى مناطق مجاورة مثل شبه جزيرة قطر ومشارف البصرة.

.

يُجمع المؤرخون على أن بني خالد بقيادة آل عريعر هم من أخرج العثمانيين من الأحساء. ومن أبرز النصوص التاريخية:

- عثمان بن بشر في عنوان المجد في تاريخ نجد يوثق الحدث بوضوح.

-محمد بن عبدالله آل عبدالقادر في تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء يؤكد الطرد على يد بني خالد.

-ابن بسام في تحفة المشتاق يذكر الحادثة بنفس المعنى.

-المؤرخون اللاحقون مثل الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن بن عثيمين في تاريخ المملكة العربية السعودية، وجون فيلبي في بعثة إلى نجد، يعيدون التأكيد على نفس الحقيقة التاريخية.

هذه النصوص تُعدّ دليلاً قاطعًا على استقلال آل عريعر وعدم تبعيتهم للعثمانيين.

نهاية الدولة الأولى وإعادة قيامها

انتهت الدولة الأولى لآل عريعر على يد الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٠٨هـ. ثم عادت الدولة مرة أخرى سنة ١٢٣٤هـ على يد ماجد ومحمد، واستمرت حتى سنة ١٢٤٥هـ (حوالي ١٢ عامًا).

حصلت الدولة الثانية على تأييد معنوي وسياسي من داود باشا والي العراق، الذي رأى في توسع والي مصر (إبراهيم باشا) خطرًا على ولايته، فدعم آل عريعر لأنهم ورثة زعماء بني خالد – القبيلة الأقوى في المنطقة. كما أشار إبراهيم باشا نفسه إلى أهمية التحالف مع بني خالد، كما ورد في مذكرات الضابط البريطاني سادلير.

انتهت الدولة الثانية على يد الدولة السعودية الثانية في مناخ السبية المشهور، وليس على يد القبائل كما يُشاع أحيانًا (كما يؤكد ابن بشر وآل عبدالقادر).

خاتمة

يثبت التاريخ الموثق أن آل عريعر لم يكونوا ولاة للعثمانيين، بل كانوا قادة دولة محلية مستقلة طردت العثمانيين من الأحساء، وحكمت المنطقة بقوة وسطوة. الادعاءات التي تربطهم بالتبعية العثمانية لا تستند إلى مصادر تاريخية، بل تتعارض معها تمامًا.

المصادر والمراجع المعتمدة:

-عنوان المجد في تاريخ نجد – عثمان بن بشر.

-تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد – محمد بن عبدالله آل عبدالقادر.

-تحفة المشتاق – ابن بسام.

-تاريخ المملكة العربية السعودية – الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن بن عثيمين.

-بعثة إلى نجد – جون فيلبي.

-مذكرات سادلير (الضابط البريطاني)..